جرائم الاستعمار الفرنسي بين واقع الجريمة وتحديات الثورة الجزائرية

الاستاذ بوترعة علي، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة إشراف الأستاذ الدكتور فرور دحو، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

ملخص المقال:

ان الظروف التي مر بها الشعب الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، من أحلك الفترات في تاريخ هذا الشعب الابي الذي عانى الويلات من الاستدمار الفرنسي، والذي استعمل كل الوسائل من اجل ارضاخه، فاستعمل التعذيب والسجن والتنكيل، ولما تحدي نفعا، فانتقل الى وسائل جديدة، من اجل السيطرة، فجاءبالأسلاك الشائكة، والتجارب النووية، كل ذلك من تدبير جنرالاته، ولكن الثورة ومن ورائها الشعب، استطاعت ان تتغلب على أعتى قوة في العالم آنذاك.

الكلمات المفتاحية: جرائم–الأسلاك الشائكة –التجارب النووية–الألغام–المعتقلات – السجون –التعذيب –الإعدام –القنبلة النووية –الاسلحة النووية

Abstract

The conditions experienced by the Algerian people during the colonial period, of the darkestperiods in the history of thisproud people, who have suffered the scourge of genocide the Algerian people, whousedeverymeans in order to, So itwasused torture, imprisonment, and whengoing to work, go to the new methods, in order to control, came barbedwire and nuclear tests, all of the management of hisgenerals, but the revolution and the people behindthem, shewas able to overcome the mightiest power in the world at the time.

keywords: Crimes- barbedwire-nuclear -mine-detention -prison - bombnuclear –death- Nuclear tests- nuclearweapons.

مقدمة:

شهدالعالمعلىمرالتاريخأشهر الجرائموحشيةوضراوة،التيارتكبتبحق الإنسانيةوالتيأسفرتعنمآسيوكوارثيعجزأكبرالمتشائمينتعبيراًعنوصفها،وقد حاولالمجتمعالدوليتداركهاومنعتكرارهاعنطريقإيجادوسائلالغرضمنهاحماية

الإنسانعبرمنحهاالأمنوالعدالة.قال تعالى: (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)سورة قريش. كماأنموضوعالجرائمالدوليةهومنالموضوعاتذاتالأهميةالبالغة،وذلك نظرالماا حدثتهتلكالجرائممنآثارخطيرةتمسالمصالحوالقيمالجوهريةوالتيلطالما حرصالمجتمعالدوليعلىحمايتهاوعدمالمساسبها .فهيتتضمناعتداءصارخاعلى المصالحالحيويةالتييكفللهاالقانونالدوليالجنائيوكذاالقانونالدوليالإنسانيحماية خاصة.

وانطلاقامنالأهميةالقصوىالتييمثلهامستوىالمعرفةالتاريخية كدرعقويفيوجهثقافةالنسيانأو مدرسةالتحريفوالتزييففيآنواحدفإنالكتابةالتاريخيةالعلميةتمثلفيهذاالسياقأبرزرافديمكنهاإثراء وإنعاشمستوىالمعرفةالتاريخيةخاصةفيمواضيعذاتارتباطوثيقبالتاريخالوطنيخصوصاإذاتعلقالأمر بفتراتحاسمةومصيريةفيتاريخالجزائرالمعاصروأقصدبذلكمرحلةما بعد الحرب العالمية الثانية.

وسأحاولفيهذاالمقالتسليطالضوءعلىقضاياامتعددةمرتبطةبموضوعشامليعنى بالبحثفيمسائلجرائم الحرب والوسائل المستعملة فيها، من مجازروتعذيب ومعتقلات، وسجون، وإعدام، وأسلاك شائكة، وتجارب نووية، غير أن هذه الجرائمساهمتفيصناعةالقرار الدبلوماسي للجزائر والانتصارات في المحافل الدولية خلالسنواتالثورةالتحريريةوالوقوفعندالظروف والإمكانياتالتيسخرتها قيادةالثورةلتأمينهذاالنوعمنالعملياتالسياسية والدبلوماسية.

انتفاضة 8ماي 1945:من الواضح ان المركز الرئيسي للاضطرابات يقع بين سطيف والبحر، عند جبال البابور، تلك الارض الوحشية التي تبرز النتوءات العظيمة لأطلالكويكول (جميلة حاليا) القديمة، التي تتجاوز قممها الفي متر قاطعة الى شطرين المضايق الهاوية "لمعبر الموت "، ان هذه المنطقة الصعبة المداخل تقطنها القبائل البربرية الجافية والبائسة، والتي تظهر عداوتها المضمرة دوريا، في شكل هجومات معزولة. وكل ما يمثل التأثير الاوروبي في هذا الجانب من الطرق العظيمة، لا يعدو بعض المحطات الغابية ومراكز صغيرة للاستعمار متباعدة وغير كثيفة".

ان لجنة التحقيق التي عينها الوالي العام قد تساءلت هي نفسها لماذا كان المتظاهرون في بعض المناطق قد تفرقوا بهدوء، فهل ذلك يعود الى مهارة وطاقة بعض الاداريين الفرنسيين الذين

حقق كثير منهم علاقات جيدة مع رعاياهم المسلمين؟ او هل كان بعض الزعماء السياسيين المسلمين أكثر اعتدالا من البعض الاخر؟ او لعلهم راوا ان الوقت لم يكن قد نضج بعد؟ او هل كانت بعض القرى والقبائل تميل عادة الى السلم أكثر من غيرها؟ او انها كانت خائفة من رؤية الجنود بعتادهم العصري؟ ان اللجنة اكتفت بذكر الاحتمالات فقط، كما انها لم تستطع ان تكتشف من الذي اعطى الاوامر في عدد قليل من المزارعين الصغار في بعض المنازل وحيث لم يقع اي حادث منذ ست واربعين سنة، قد نهبت واحرقت تحت صرخة "الجهاد" [1].

وسائل الاستعمار:

إن كثير من الناس يعتقدون أن الثورة الجزائرية قد كانت فقط في الجبال والمدن من خلال المعارك والكمائن والاشتباكات والعمليات الفدائية[2]، بل هناك جوانب أخرى خفية من كفاح الشعب الجزائري الأبي داخل السجون والمعتقلات والمحتشدات. ولقد بادرت السلطات الاستعمارية الفرنسية عند اندلاع ثورة التحرير إلى إنشاء المعتقلات، وألقت فيها بالمناضلين الجزائريين والوطنيين، ومختلف الفئات من اجل عزلهم عن الثورة كي لا يلتحقوا بها أو يوفروا لها الدعم والسند

1-**التعذيب:** لقد تنوعت وتعددت أنواع التعذيب الذي مورس في حق الشعب الجزائري منذ أن أحكمت فرنسا سيطرتها أعلى اغلب الأماكن الجزائرية، وبذلك مارست أبشع أساليب التعذيب والتنكيل بالشعب-الأعزل الذي قاومها مدة مئة وخمسة وعشرين سنة، فأحكمت عليه الخناق بكل الأساليب والوسائل لاحتواء الشعب والأرض، واعتبارها قطعة فرنسية لا تتجزأ منها، وقد مارست أنواعا شتى من التعذيب منها الجسدي والنفسي وغير ذلك، وقد كانت تمارسها بكل قوة وعنف وتفنن.

-التعذيب الجسدي: ويتمثل في الاتي:

أ-الضرب: فالضرب يعتبر أحد أنواع التعذيب التي مارسها جلادو السلطات الاستعمارية في حق الشعب الجزائري باعتبارها الطريقة المثلى والسهلة لتعذيب هذا الشعب لاستجوابه وهي أولى الطرق للاستجواب عند الجلادون وأمتعها بالنسبة لهم.

ب–الكهرباء: فالكهرباء هي كذلك أحد أنواع التعذيب التي كانت تمارس في حق المساجين، فهو تفنن ودراسة واحد أنواع التعذيب المجدية لإقرار والاعتراف بكل ما قام به المسجون أو المشتبه به، وما لم يقم به كذلك وما يقال له بان يقول، لان هذا النوع له إثر كبير على الأجهزة العصبية والدماغية للإنسان، فما بال من يجعل له هذه الآلات والأدوات لتعذيبه وخاصة عند وضعها في أماكن حساسة من جسم الرجل أو المرأة.

ج–الماء والصابون: يعتبر الماء أحد أنواع الاستنطاق والتعذيب، ويستخدم على ثلاث مراحل أولها يتم إدخال الماء إلى البطن مما يحدث آلام حادة تفقد الشخص على قدرة المواصلة والصمت وربما يؤدي إلى الغثيان، وثانيها يتم إدخاله في مغسل أثناء الليل عندما يكون الجو باردا، وثالثها يتم ربطه في لوحة طويلة ثم يقلب إلى الأسفل حتى يغطس رأسه في المغسل لمدة زمنية، ثم يرجع إلى الأعلى، وتتكرر العملية لمرات حتى يعترف[3].

د–الحرق بالنار: وتستعمل هذه الطريقة لانتزاع الأسرار بالقوة وتمر على عدة مراحل إشعال آلة اللحام، بعد ضبطها على درجة إذابة الرصاص(°327)، ثم توجه إلى الصدر أو البطن ليحترق به متوسط سمك جلد الإنسان ثم تقرب الفوهة شيئا فشيئا مع طلب الاعتراف بالتهم المنسوبة إلى السجين حتى ولو لم يرتكبها ثم تعاد العملية في أماكن أخرى للجسم أما الطريقة الثانية فهي عملية تسلية حيث يوضع السجين في زنزانة يكون فيها الجنود يتلهون بالسجائر ثم يكون مكان الإطفاء في جسده، وإذا يكشف لك احد الذين تعرضوا لذلك يشمئز قلبك من المشهد.

هـ–تسليط الكلاب على السجناء و–الحديد والزجاج: تدق المسامير في أجسام المعتقلين –الحبل: –الجوعوالعطش:

التعذيب النفسي: إن هذا النوع من التعذيب له اثر كبير على شخصية المسجون [4]، فمنهم من يكون إيمانه ضعيف ولا يطيق الصبر، وهذا المسجون يعتبر الأسهل عند الجند الفرنسيين في الإقرار عكس الذي يكون قوي العزيمة مؤمنا بالقضية، وهذا النوع يستخدم عند ضباط بسيكولوجيين للإجبار على الاعتراف بالوسائل النفسية[5]، أو يتخلى هذا المسجون (الضعيف) عن مبادئه ويصبح

عميلا للقوات الفرنسية فيصبح دليلا أو مرشدا لها أثناء عملية التمشيط، وتلجا هذه العملية إلى تحطيم نفسية الشعب الجزائري، ومن أمثال هذه الحرب النفسية أن يؤتوا بزوجة المسجون أو إحدى بناته ثم يمارس عليها الجنس تحت أنظاره مما يؤدي إلى انهياره[6].

-التفقير والتجويع-الاستيطان:-الإبادة الجماعية: génocide -التنصير: انها الصلاحيات المطلقة في التعذيب والقتل دون مراقبة أو حساب، وهذه الحقوق متعت الفرنسي في الجيش بالتفنن في التعذيب والقتل بأبشع الأساليبوافضعها[7]. **المعتقلات:**

ا/ **. المعتقلاتالمدنية:**وهي التي تختص بشؤون المعتقلين المدنيين.

ب/ . المعتقلات العسكرية:وهي التي خصصت للمجاهدين الذين تم إلقاء القبض عليهم اثر المعارك التي كانوا يخوضونها ضدهم،وفي اغلب الأحيان كانا جلادوه عناصر الجيش الفرنسي، يعد موت الأسير بعد اعتقاله انتقاما لموتاهم.[8]

2-أهمالمعتقلات أثناء الثورة:

1) -معتقل **قصر الطير:** يقع هذا المعتقل بالقرب من عين ولمان بولاية سطيف وهو خاص بالمجاهدين الأسرى

2)-**معتقل الجرف:** يقع هذا المعتقل شرق مدينة مسيلة محاذيا للطريق الرابط بين بريكة ومسيلة

[9]**3_معتقل بوسوي [الضاية]:** أطلق هذا الاسم على معتقل جبال الضاية تخليدا لمآثر فرنسا ويقع هذا المعتقل الذي سمي باسمه جنوب سيدي بلعباس في دائرة [تلاغ]

4_ معتقل افلو: يقع في ولاية الاغواط وقد خصصت فرنسا في البداية لقادة الحركات السياسية والإصلاحية.

5_ معتقل سان لوي (ارزيو): وهذا المعتقل يقع شرق مدينة وهران واغلب من به نقلوا من الجرف وعين وسارة ولا يقل أهمية عن معتقل بوسوي والجرف.

6_معتقل اركول: يقع هذا المعتقل شرق مدينة وهران ويكاد يكون بصيقا بها وهو معتقل لتعذيب البدني والنفسي ومحطة للمرور بحيث كلما جيء بمعتقل من ارزيو أو افلو الجرف أو سيدي الشحمي أو من المعتقلات الصغرى من مراكز التجمع أو من الذين قضوا حياتهم في سجن لامبير، تازولت أو البرواقية أو وهران أو سجن الكدية بقسنطينة أو سجن عنابة إلا ويمرون بهم عليه تعذيبا وتهديدا وترهيبا واغلبهم من الأسبان لا يسلم من أذاهم أي احد من المعتقلين وأحيانا يضطر مسؤولهم للقيام بالحيلولة دون التنكيل ببعض الشخصيات العلمية خوفا من تسرب الأخبار للصحافة العالمية.

7_ معتقل سيدي الشحمي: يقع جنوب شرقي مدينة وهران وقد ملئ في البداية بالذين نقلوا من معتقل (بوسوي) و(الجرف) وغيرها من المعتقلات الصغرى التي تعتبر مراكز للتجمع المؤقت.

9–معتقل لودي: ويقع غرب مدينة المدية وكان مركزا ومصطافا لعمال السكة الحديدية في فترة الاحتلال الفرنسي، وفي عام 1958م فتحته فرنسا للشيوعيين الأوروبيين ثم ضمت إليهم الشيوعيين الجزائريين وقد نقلتهم من معتقل (لودي) أن يتعهدوا بعدم تأييد الثورة في المستقبل، كما تفرض عليهم الرحيل إلى فرنسا.

10– معتقل الدويرة: يقع في متيجة، أنشا سنة 1958م للذين خرجوا من المعتقلات والسجون ومارسوا العمل مع الثورة من جديد والقي القبض عليهم مرة أخرى، وجيء بهم الى هذا المعتقل للتكفير عما قاموا به نحو الثورة.

11. معتقل الشلال: تم فتحه استنادا لقانون الطوارئ في 03 افريل 1955م بالمكان المسمى العجيلة وهو معروف بتسمية "فيلاج بالشلال" ويقع جنوب مدينة المسيلة على بعد 10كلم يحده من الشمال الطريق الوطني الرئيسي الذي يؤدي إلى عين الحجل والجزائر العاصمة ويعتبر من أقدم المعتقلات وأبشعها تعذيبا.كما فرضت قانون حالة الطوارئ[10]، في البلاد عام 1955 ومن أبرز العوامل التي أدت إلى إنشائه:

1. فك الروابط الأسرية للعائلات الثورية، وعزلها عن بعضها البعض.

2. قرب هذه المراكز المستحدثة من الثكنات العسكرية تجعل منها دروعا أمامية للعمليات العسكرية التي يقوم بها المجاهدون وتحقيق الأمن لجنودها.[11]

3. قمع الروح الوطنية لدى الجزائريين ومحاولة والقضاء على لهيب الثورة والحد العسكري والسياسي اللذان أصبحا يسيران بخطى ثابتة نحو الاستقلال.

4. العمل على بعث التفرقة السياسية بين المنتمين إلى جهة وجيش التحرير الوطني وغير المنضويين تحت لوائها وأثارت الثغرات بين أبناء النبيذ للقضاء غلى الوحدة ومنع الشعب من الالتفاف حول جيش التحرير الوطني[12].

السجون:وقد بلغ عدد السجون في بداية الثورة قرابة 26 سجنا، ثم نمت وكثرت مع انتشار الثورة منها: سجن بسكرة وسجنان بكل من ورقلة وغرداية والاغواط، ثم سجن أدراروتيميمون، رقان،تمنراست،و عين صالح، وسجنان بمتليلي، وثلاثة بكل من المسيلة وبوسعادة، سجن الجلفة، ومسعد،تاعظميت،وتوقرت[13].

أهم السجون أثناء الثورة:

ا–**سجنبربروس**: الذي هو معروف اليوم باسم سجن"سركاجي" وهو سجن مدني في أعالي القصبة.

ب–سجن بسكرة: السجن المدني ببسكرة، بني سنة 1884م، ويقع أمام المحكمة القديمة في نهج محمد رحيم بالقرب من تمثال لافيجريسابقا.

وهناك مراجع تقول انه تم إحصاء عدد المعتقلين في أوائل الثورة إلى حوالي 400000 معتقل، وعدد المساجين الذين حكم عليهم حوالي 40000 في الجزائر، و15000 بفرنسا [14].

وهذه الاعتقالات والمحاكمات الصورية جاءت على إثر إصدار العدالة الفرنسية صلاحيات واسعة لقضاتها في محاكمة الجزائريين محاكمة صورية بعد إذاقتهم ألوان العذاب من طرف الشرطة أو الدرك أو الجيش، ولفقت ضدهم تهم مختلفة مع حرمانهم من زيارة أقربائهم.ولقد وضعنا هذا الجدول ليبين تفاوت المحاكمات وعدد المحكوم عليهم بصفة عامة في فترة (1955–1962) م[15].

السنوات	1955	1956	1957	1958	1959	1960	1961	1962
المحاكمات	56	53	186	226	148	138	81	41
المحكوم عليهم بالسجن	/	/	/	997	756	613	364	99
الإعدام	/	/	/	152	107	120	120	08

مما يمكن أن تستنتجه من الجدول هو أن عدد المحاكمات ازداد خاصة في السنتين 1957-1958 م، وهو الوقت الذي اشتدت فيه الثورة التحريرية وخاصة معركة الجزائر.

جرائم الاغتصاب وتقييد الحريات: انه لمن المتفق عليه أن الأفعال الجنسية المشروعة، هي التي تتم في إطار العلاقة الزوجية، والأفعال التي تتم خارج هذه العلاقة تعتبر غير مشروعة، ويعتبر فعل الاغتصاب من أخطر الأفعال الشنيعة التي تخدش شرف وعرض الإنسان، وتشكل تهديدا كبيرا على جسمه وحريته الجنسية.وهنا لابد من تدخل القانون، الذي يحدد الأفعال الجنسية المشروعة وغير المشروعة، وفقا لمقتضيات حماية المجتمع، والنظام العام والآداب العامة.

حقول الألغام وآثارها السلبية علة المجتمع الجزائري:

أولا: أنواع الألغام

1) الالغام المضادة للافراد: الانسان، وقد استعملت النماذج التالية:"APDV/59 APID/51، وقد تم زرع 4056241لغم من نوع"APID/51" ابتداءا من 21 نوفمبر 1957الى 20 مارس 1958[16].

2) الالغام المضيئة: تشتعل بمجرد قطع الاسلاك من طرف جيش التحرير الوطني لتنطلق شرارات مضيئة في السماء[17].

3) **الساج المكهرب**: يضم خمسة اسلاك شائكة موضوعة فوق بعضها البعض ومفصولة عن بعضها بعوال، وقد عزز السياج من الاعلى بشبكة من الاسلاك الشائكة[18].

4) **الاسلاك الشائكة**: عرضها اربعة امتار اقيمت خلف الخط المكهرب على بعد ثلاثة امتار بعد الطريق المعبد مباشرة، تمتد الخنادقوللاثارةفانها تتصل ببعضها البعض عن طريق ممرات ارضية، وعلى غرار ذلك اقامت الادارة الاستعمارية المراكز العسكرية حول الخنادق بغرض توفير وضمان الامن والسلامة للقائمين على الحراسة.

فقد كانت القوات الاستعمارية المتمركزة في الجزائر، قد بلغت حتى فاتح جويلية1959 اكثر من 612.390 رجل كانت موزعة كالتالي:القوات البرية: 392.500 رجل.القوات البحرية: 10.900رجل. القوات الجوية:310.500رجل.قوات الدرك: 13.100رجل.قوات وحدات المقاطعة: 78.500رجل.قوات الحركة: 39.850رجل.فرق المخزن: 18.520رجل.الدفاع الذاتي: 18.810رجل.

وكانت هذه القوات موزعة عبر القطر الجزائري كله بحيث انتشرت101.000 على الناحية الغربية، و128.500 على الناحية الشرقية، 128.500 على الناحية الوسطى و26.000 كلفوا بمهام اخرى عبر الوطن.

وعلى اساس هذه القوات المذكورة نفذت فرنسا مخططاتها العسكرية ضد الثورة، واعتمدت بالخصوص على فرقها العسكرية بوحدات الصاعقة، ووحدات الاحتياط العامة[19].

الجريمة النووية: الوجه الأبشع للاستعمار الفرنسي في الجزائر

السلاح النووي هو سلاح تدمير فتاك، يستخدم عمليات التفاعل النووي، يعتمد في قوته التدميرية على عملية الانشطار النووي او الاندماج النووي[20]، ونتيجة لهذه العملية تكون قوة انفجار قنبلة نووية صغيرة اكبر بكثير من قوة انفجار أضخم القنابل التقليدية، حيث أن بإمكان قنبلة نووية واحدة تدمير أو إلحاق أضرار فادحة بمدينة بكاملها. لذا تعتبر الأسلحة النووية أسلحة دمار شامل

ويخضع تصنيعها واستعمالها إلى ضوابط دولية حرجة ويمثل السعي نحو امتلاكها هدفا تسعى إليه كل الدول. [21]

لقد اختارت الحكومة الفرنسية لاجراء تجاربها النووية والزمان والمكان بعناية، فقد كانت تجد في دخول النادي النووي ولو على حساب مبادئ ثورتها الانسانية، خاصة اذا عرفنا انها خرجت منهزمة في اكثر من حرب ووجدت نفسها متاخرة عن الدول العظمى بعد تفجير الولايات المتحدة الامريكية لاول قنبلة نووية في 6 اوت 1945 ثم الاتحاد السوفياتي سنة 1949 وانجلترا سنة 1957. وكان على فرنسا تسخر كامل امكانياتها للانضمام لهذا النادي في اقرب الاجال. [22]

ولذلك اقرت حكومة شارل ديغول آنذاكتاسيس"محافظة الطاقة النووية الفرنسية" في اكتوبر 1945، والتي شرعت في تجميع الدراسات العلمية والامكانيات التقنية لصنع القنبلة النووية، ومع حلول سنة 1955 اصبح بإمكان فرنسا تحقيق حلمها فاسندت للجنرال "بوشالي" تجسيد المشروع ولما تولى الجنرال ديغول السلطة ازداد الاهتمام بهذا المشروع الذي اعتبره مشروعا حيويا واستراتيجيا لفرنسا، وخطط لان يتم تفجير اول قنبلة تجريبية بداية سنة 1960[23]. على امل ان يكون في ذلك رسالة للقوى الدولية حتى لا تفرض حلولها على فرنسا وللفرنسيين الذين يضعون ثقة مفرطة في رئيسهم وللثوار الجزائريين الذين يتخذون السياسة الفرنسية ومشاريعها في حل القضية الجزائرية.

لقد جاء اختيار الصحراء الجزائرية مختبرا لتفجير اول قنبلة نووية فرنسية لاسباب عديدة، اذ تاكدت ضرورة ان منطقة الاختبار بعيدة عن الانظار وغير ملفتة للانتباه ومؤهلة طبيعيا وجغرافيا لاجراء هذه التجارب،[24] وعليه رشح الخبراء الفرنسيون منطقتان مؤهلتان لذلك وهما بولينزيا والصحراء الجزائرية، لكن بعد الاولى عن الوكن الام (فرنسا) من جهة وفقرها للموارد الطبيعية والبشرية الكفيلة بتجسيد المشروع والمساعدة على اقامة صناعات ومجمعات عسكرية من جهة اخرى جعل الاختيار يقع على الجزائر، وبذلك تم تحديد منطقة رقان التي تبعد عن اقليم توات ب 100كم. وعين ايكر شمال تمنراست كاماكن مناسبة لتجسيد المشروع النووي الفرنسي[25]. قاعدة رقان: وقع الاختيار على منطقة حمودية التي تبعد عن رقانب65كم كقاعدة اساسية لمراقبة

اجراء التجارب النووية، وذلك في جوان سنة 1957 واوكلت مهمة بناء منشآتها الرئيسية الى الفرقة الثانية التابعة للجيش الفرنسي[26].

و لم تكد الاشغال تنتهي حتى اصبحت القاعدة تضم اكثر من عشرة الاف عامل من بينهم3500 جزائري جيء بمعظمهم من مراكز الاعتقال، او من المناطق السكنية القريبة وشغلوا في اعمال السخرة[27]. سميت القاعدة النووية الفرنسية "بالمركز الصحراوي للتجارب النووية العسكرية" وهي مقسمة الى قسمين: المصالح التقنية والادارية والمطار العسكري برقان، والقيادة العسكرية مقرها حمودية والتي كلفت بالاشراف المباشر على العمليات واجراء الاختبارات التقنية ورصد الاشعاعات، باعتبار ان التفجيرات كانت سطحية. [28]

قرر الخبراء الفرنسيون البحث عن مكان امن تمكن طبوغرافيته من التطبيقات السلمية للانفجارات النووية بالباطنية فوقع الاختيار على منطقة الاهقار الجبلية وبالضبط في تاكرومية قرب عين امقل جنوب عين ايكر اين تم حفر ما يقارب الثمانية انفاق في الفترة الممتدة بين 1961-1962 حيث شهد معظمها تفجيرات نووية كان اولها في السداسي الاول من سنة 1961 اي في الذكرى الاولى 4 لتفجيرات رقان لتليها تفجيرات اخرى استمرت الى ما بعد استقلال الجزائر، حيث تم حفر عدة انفاق جديدة تحضيرا لتجربة "مونيك"[29].

وبعد انتهاء فرنسا من انجاز قاعدة رقان وتجهيزها بكل الوسائل التقنية والفنية الازمة، وبعد ان توصل الخبراء الفرنسيون الى صناعة اول قنبلة نووية في مختبرات ومصانع "بروياركوشاتل" تمت عملية نقلها الى قاعدة رقان النووية لاجراء اول عملية تفجير في تاريخ فرنسا العسكري. [30]

وفي 13 فيفري من سنة 1960 وخلال الساعات الاولى منه كانت القنبلة قد نصبت في اعلى برج معدني يفوق طوله 100م، وقد حاصرتها اثنتا عشر كاميرا مراقبة لتصوير الحدث والتقاط صور الانفجار الناجم عن الاشعاع الحراري[31] تمت عملية "اليربوع الازرق" على الساعة السابعة بتوقيت الجزائر بحضور ضباط عسكريين ورجال ساميين في الحكومة الفرنسية يتقدمهم وزير الدفاع انذاك بيار مسمر الذي طار على جناح السرعة الى باريس ليخبر الجنرال ديغول بنجاح التجربة،وقد

بارك هذا الاخير في مؤتمر صحفي ما اسماه انجازا فرنسيا، وقدمت خلال المؤتمر اولى الصور حول العملية بحضور ازيد من 300.

وقد حياالجنرال ديغول الشعب الفرنسي والحكومة، وبخاصة القائمين على العمل، واعتبر ذلك انجازا كبيرا لفرنسا[32]. يضمن لها الامن ويفتح لها المزيد من التقدم العسكري النووي، ويفك عقدة النقص التي لازمتها الى غاية تلك اللحظة.

استيقظ سكان منطقة رقان الواقعة بالجنوب الغربي الجزائري صباح يوم 13 فيفري 1960 على الساعة السابعةوأربع دقائق على وقع انفجار ضخم ومريعا الذي جعل من سكان الجزائر حقلا للتجارب النووية وتحويل اكثر 42 الف مواطن من منطقة رقان ومجاهدين.

ففي صبيحة هذا اليوم المشهود، تمت عملية التفجير تحت اسم اليربوع "الازرق"، تيمنا بلون الكيان الصهيوني واول لون من العلم الفرنسي، هذا التفجير الذي سجل بالصوت والصورة بعد الكلمة التي القاها ديغول في نقطة التفجير بحموديا(65 كلم عن رقان المدينة)، قبل التفجير بساعة واحدة فقط، وتم نقل الشريط مباشرة من رقان الى باريس ليعرض في النشرة الاخبارية المتلفزة على الساعة الثامنة من نفس اليوم بعد عرضه على الرقابة. [33]

نجحت فرنسا واسرائيل في تجاربهما النووية المشتركة وهما تدركان حق الادراك ان سكان هذه المنطقة سيعانون لفترة تزيد عن 4500سنة من وقع اشعاعات نووية لا تبقى ولا تذر ولا تفرق بين نبات وحيوان وانسان او حجر. [34]

-كانت اول قنبلة نووية سطحية بقوة ثلاثة اضعاف قنبلة هيروشيما باليابان عام 1945.

-تلتها قنبلة "اليربوع الابيض"، "اليربوع الاحمر" حسب ترتيب الالوان الثلاثة للعلم الفرنسي لتختتم التجارب الاستعمارية النووية بمنطقة حموديا رقان بالقنبلة الرابعة والاخيرة التي سميت"باليربوع الاخضر"، وهذا في 25 ابريل 1961.

وهذا الجدول يوضح حسب تصريحات السلطات الاستعمارية التجارب النووية التي تمت في منطقة رقان والأهداف المتوخات منها .[35]

الترتيب	اسم التجربة	التاريخ	قوة القنبلة كيلو/طن	الأهداف
01	اليربوع الأزرق	1960/02/13	70.60	عسكرية
02	اليربوع الأبيض	1960/04/01	أقل من 20	عسكرية
03	اليربوع الأحمر	1960/04/27	أقل من 20	عسكرية
04	اليربوع الأخضر	1961/04/25	أكثر من 20	عسكرية

وفي معرض ردها عن حملات الشجب حاولت الدبلوماسية الفرنسية الدفاع عن موقفها بمبررات واهية، فقد صرح "جيل موش" مندوب فرنسا الدائم لدى هيئة الامم المتحدة يوما 1960/11/05، ان بلاده اجتهدت في اختيار موقع التجارب النووية مدعيا ان رقان لا توجد بها الا تجمعات سكانية ضعيفة لا تؤخذ بعين الاعتبار [36]، فهل الى هذه الدرجة يمكن الاستهتار بارواح الناس؟ وباي حق سمحت فرنسا لنفسها بتلويث منطقة واسعة وان سلمنا بانها غير مؤهلة؟ .

وعلى الرغم من الاستياء الذي ابداه الراي العام المحب للسلم فان فرنسا لم تابه لذلك، وواصلت تجاربها في المنطقة نفسها التي شهدت ثلاث عمليات اخرى، سميت الاولى اليربوع الابيض، والثانية اليربوع الاحمر والثالثة اليربوع الاخضر وذلك في 01افريل 1960 و27 افريل 1960و 25 افريل 1961 على التوالي. وقد بلغ مجموع قوتها مجتمعة 60 كلطن، لتبلغ قوة الطاقة التي تم تفجيرها في رقان ومحيطها ما يقارب 130 كيلو طن كقابل ثلاثة عشرة عملية تفجير بقوة 370كيلو طن بقاعدة عين أيكر بتمنراست[37].

آثار ومخلفات التجارب النووية الفرنسية على الجزائر.

لم تقتصر الابادة التي انتهجها الجيش الفرنسي على القتل الجماعي بالطرق التقليدية، بل تطور الامر الى حد استعمال العلم والتقدم التكنولوجي في خدمة الاغراض الدنيئة. وهذا في اطار مشروعها الذي يطلق عليه اسم التنظيم الصناعي الافريقي هذا الاخير الذي تهدف فرنسا من خلاله الى انشاء مناطق لاجراء تجاربها النووية في القارة الافريقية ونظرا لكون الصحراء تكتسي موقعا استراتيجيا مهما لعملية التجارب النووية، فقد اقامت فرنسا مراكز نووية بالصحراء اهمها: منطقة رقان وذلك لاجراء تجاربها النووية، والتي تم خلالها استخدام مجموعة من اسرى مجاهدي المنطقة المنظورين تحت لواء جبهة التحرير الوطني ومجموعة من المدنيين القاطنين بالمنطقة كفئران تجارب لتفجيراتها النووية.

إن الزائر اليوم لمدينة رقان وقرية الحمدية التابعة لها[38]،ومنطقة أينكر بالهقار [39]يقف على خطورة الاشعاعات الناجمة عن النفايات النووية التي خلفتها 17 تجربة اجراها الفرنسيون هناك ما بين 13 فيفري 1960و 16 نوفمبر 1966، وتسببت بمقتل 42 الف جزائري واصابة آلاف الاخرين بإشعاعات، واضرار كبيرة مست البيئة والسكان.[40]هذا دون احصاء التجارب التكميلية التي لم ترد في تقرير وزارة الدفاع الفرنسية الذي نشر في شهر فيفري 2007 عقب المنتدى الذي انعقد بالجزائر العاصمة.[41]

وفي الاطار يكشف تقرير خبرة اعدته الوكالة الدولية للطاقة الذرية في سنة 1999 والذي نشر سنة 2005 ان المناطق المحيطة بالنقاط الصفر لرقان من بينها 40 منطقة بقرية الحمودية وعين اينكر مازالت لحد الان متضررو بسبب الاشعاعات المعتبرة[42]. ويشير "عمار منصوري" الباحث في الهندسة النووية، الى ان الجيش الفرنسي في تفجيراته التي حملت مسميات اليربوع: (الأبيض ثم الأحمر [43]ثم الاخضر ثم الازرق)، استخدم فيها الاف من ابناء منطقة رقان وعناصر من اللفيف الاجنبي كفئران تجارب، اضافة الى الحيوانات والحشرات والطيور وحتى بذور نباتات لم تسلم من هذه التجارب، وكان يتم ربط الضحايا لساعات مبكرة قبل كل عملية تفجير، ولقد اتت التجارب على الاخضر واليابس، وكانت بذلك اشدوطاة على سكان الجهة الجنوبية مخلفة آلاف العائلات في مناخ ملوث بالإشعاعات[44]. كما يلفت منصوري الى ان قوة القصف النووي بلغت آنذاك

30كيلو طن، ورغم انقضاء عشرات السنين على تلك التجارب النووية، الا أن قطر المنطقة المحيطة، لا يزال مشعا بصفة حادة ما دفع السلطات لحظر الدخول اليها، كما ان المساحات التي استهدفها الاشعاع كانت شاسعة واكبر من المتوقع ومتداخلة التاثيرات، في صورة ما اكدته ابحاث بشان مادة البلوتونيوم الاكثر تسميما وتلويثا، وما يتصل بانتشار امراض العيون وتراجع الولادات وعقم الاشجار جراء الاشعاعات التي ستبقى تاثيراتها لوقت طويل ويمكنها ان تنتقل الى اجيال قادمة.

من جهته، كشف المدير السابق للمحافظة الفرنسية للطاقة الذرية، البروفيسور "ايف روكارد" في مذكراته ان:" كل الاجراءات التي كنا نامل تطبيقها في اللحظة صفر فيما يتعلق بقنبلة 13 فيفري 1960 المسماة بـ"اليربوع الازرق"، باءت بالفشل..... سحابة مشحونة بعناصر مشعة نتجت عن هذه التجربة الاولى وصلت الى غاية نيامي وكان نشاطها الاشعاعي اكثر بـــ 100000 مرة من معدلها، وتم تسجيل تساقط امطار سوداء في 16 فيفري بجنوب البرتغال، ثم في اليوم الموالي في اليابان، هذه الامطار كانت تحمل نشاطا اشعاعيا اكبر بـــ 29 مرة من معدلها".[45]

ويؤكد الباحث الفرنسي المتخصص في التجارب النووية الفرنسية، برينو باريلو ان سلطات الاستعمار الفرنسية استخدمت 42 الف جزائري بينهم اسرى من جيش التحرير الجزائري " فئران تجارب" في تفجيرات متعددة في عام 1960 ما يمثل اقسى صورة للإبادة والهمجية، ويعض هذه المقولة تصرح غاستونموريزو، احد قدماء الجنود الفرنسيين الذي كان حاضرا بموقع تفجير اول قنبلة نووية فرنسية في الصحراء الجزائرية بتاريخ13 فيفري 1960 قائلا، " لقد استعملنا سكان المنطقة كفئران مخابر خلال اولى التجارب النووية الفرنسية برقان"[46] هذا فضلا عن مخاطر بيئية تمتد لمساحة 600 كلم مربع، فيما تسببت النفايات وبقايا التفجير في ابادة 60الف جزائري بين 1960 الى 1966، ومن أخطر ما كشف عنه ان فرنسا استعملت الجزائريين في التجارب النووية دون ان تقوم اصلا بأرشفة أو حفظ هويات الضحايا، خارقة بذلك كل قواعد الحرب وحقوق الإنسان، وبالتالي لم يعد امام السلطات حاليا اي امكانية للتعرف على الكثير من الضحايا. كما ان الجيش الفرنسي

غادر قواعده في صحراء تاركا آلاف الأطنان والمعدات المشعة تحت الرمال لتقضي على الإنسان والحيوان والبيئة وآثارها ستمتد لعدة قرون أخرى.[47]

وفي هذا الإطار يقول أحد الضحايا الفرنسيين هو اليوم متقاعد، [48]":كنت برقان سنة 1962 بوحدة النقل للاتصالات ومقارنة بكل ما شاهدته وما اعلمه اليوم، اجد انهم سخروا منا نحن الجنود البسطاء، وهذا ما يجعلني أشعر بمرارة شديدة اتجاه فرنسا[49]".

الخاتمة:

ان الجرائم الفرنسية المرتكبة ضد الشعب الجزائري وارضه ومياهه. جرائم لن ينساها التاريخ العالمي ولا الجغرافيا، لا الزمان ولا المكان، وتبقى فرنسا وحدها تتحمل هذه المسؤولية، ان قوانينها المفبركة من اجل تعويض ضحايا هذه الجريمة ما هو الا صوت سياسي، ومعركة لربح الوقت، فالتاريخ لا ينس يا فرنسا، فكل ضحية تظهر من جديد هي اعتراف بان هناك جريمة ارتكبت على هذه الارض الطاهرة.

الهوامش:

1- جريدة (لا دياش دي كونستنتين)، 18مايو، 1945. ص.

2- رافائيلا برانش،التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي اثناء ثورة التحرير الجزائرية،، سلسلة المترجمات، امدوكال للنشر :2010تر: احمد بن محمد بكلي، 55-56.

3- بيير هنري سيمون: ضد التعذيب في الجزائر، دار العلم للملايين،بيروت، 1957، ص 51.

4- بوعلام نجادي: المرجع السابق، الصفحة 151.

5- بيير هنري سيمون: المرجع السابق، ص 21.

6- نصر الله فريد: المرجع السابق، ص 46.

7-يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص 192.

8منظمة المجاهدين،تاريخ الجزائر"1962/1830"قرص مضغوط.

9- محمد الطاهر عزوي، ذكريات المعتقلين، المصدر السابق، ص 216.

10 – حالة الطوارئ،حالة استثنائية تفرض خلالها إجراءات وقوانين صارمة قصد التحكم في الوضع الطارئ.، ثم فرضها بأمر من الوزير المقيم جاك سوستال في مارس 1955في محاولة للحد من نشاط الثورة [أخذت من رسالة الماجيستر لبلقاسم صحراوي،معتقل قصر الطير،1962،1956][رسالة الماجيستر].معهد الآداب والعلومالاجتماعية.جامعة باتنة،2006، 2005م.ص.142

11- كمال بيرم،"المعتقلات ومراكز التجمع لمنطقة المسيلة" مداخلة ألقيت في الملتقى الدولي الأول حول الثورة [1954-1962]جامعة باتنة 4-5 ديسمبر.ص.123

12-بلقاسم صحراوي،معتقل قصر الطير [1956-1962] رسالة الماجيستر معهد العلوم والآداب والعلوم الاجتماعية،جامعة باتنة 2006-2005.ص.154

13- التقرير الجهوي لولايات الجنوب المقدم إلى الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، الترحيل الجماعي وتهديم القرى والمداشر"السجون المدنية العسكرية"،الجزءالأول،المجلدالثاني،قصر الأمم من 8الى 10ماي 1984، ص 226.

14- الجنيدي خليفة، حوار حول الثورة، طبع المؤسسة الوطنية للرعاية، (د ب)، (د ط)، 1986، ج3، ص88 .

15- محمود مجاود، "سياسة التعذيب الاستعمارية إبان الثورة التحريرية وتداعيتها المعاصرة"، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2006، ص 108.

16- جمال قندل، خطا شال وموريس وتاثيراتهما على الثورة الجزائرية 1957-1962، دار سيدي الخير للكتاب الجزائري،2009،ص،102.

17- الطيب بن نادر، الجزائر منارة التاريخ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 ص 185.

18- جمال قندل، المرجع السابق ص144.

19- نفس المرجع السابق،يوسفمناصرية، ص 176.

20- التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1945، الجزائر، 1998، ص ص 21-22.

21- المرجعنفسه، ص 21-22.

22-التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1945، الجزائر، 1998، ص ص: 21-22.

23- المرجع نفسه، ص ص: 22-23.

24- أنظر ما اوردناه في كتابنا: مقالتي عبد اله وآخرون: الثورة التحريرية في أقاليم توات، منشورات مديرية المجاهدين لولاية أدرار، ص ص 105-106.

25-انظر ما اوردناه في كتابنا: مقلاتي عبد الاله واخرون: الثورة التحريرية في اقاليم توات، منشورات مديرية المجاهدين لولاية ادرار، ص 105، 106.

26- جريدة المجاهد 18 فيفري 1960، ص 5.

27- انظر شهادة الشاي قويدر ومناني محمد اللذين حضرا التفجير الاول وعملا في تهيئة قاعدة رقان في: التجارب النووية الفرنسية، مرجع سابق، ص 201.

28-أنظر الطيب ديهكال: بلدية عين مقل واقع التجارب النووية الفرنسية وخلفياتها في منطقة عين ايكر، مطبوعات وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 2004،ص ص 91-93.

29- انظر الطيب ديهكال: بلدية عين مقل واقع التجارب النووية الفرنسية وخلفياتها في منطقة عين ايكر، مطبوعات وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 2004، ص-ص، 91،93.

30-نفس المرجع، ص 95.

31- اعتمدنا في نقل هذه الشهادة على ما قراته ارملة المجند فرانسيس باردو السيدة سيلفيتياردو من مذكرات زوجها وقد ادلت بذلك في "شريط وثائقي" حول التجارب النووية الفرنسية بالصحراء الجزائرية وهو تحت عنوان 1996 وقد Les apprentis sorcier وقد اخرجه andregazut.

32- pierre messmer , les apprentis sorciers, opcit.

33-عبد القادر فكاير، التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر والمواقف الوطنية منها، مجلة المصادر، ع 15.

34-المرجع نفسه، مجلة المصادر، ع 15.

- المرجع السابق، عبد القادر فكاير، مجلة المصادر، ع .3515

36Les apprentis sorciers , op.cit.

37- حول التجارب النووية الفرنسية وقوتها وتواريخها برقان وعين ايكر من 1960-1966 انظر الجدول المرفق في كتاب التجارب النووية- مرجع سابق، ص 40.

38- تبعد قرية الحمودية مسافة 65كم عم مدينة رقان والتي بدورها تبعد مسافة 150كم عن مقر ولاية أدرار.

39- تبعد قرية الهقار مسافة 150كم عن مقر ولاية تمنراست.

40- ا/كامل الشيرازي: التجارب النووية بالصحراء الجزائرية، مقال نشر على الموقع: www.hazemsakeek.com بتاريخ 2012/01/06.

41- مليكة أيتعميرات،" التجارب النووية بالصحراء الانعكاسات الصحية والبيئية "، مجلة الجيش، العدد 533، ديسمبر2007، وزارة الدفاع الجزائرية، ص: 30.

42- ا/ مليكة ايت عميرات: مرجع سابق، ص:30.

43- أطلقت هذه التسميات بهذا الترتيب كناية عن الألوان في العلم الفرنسي.

44- نقل بتصرف انظر: ا/ كامل الشيرازي: التجارب النووية بالصحراء الجزائرية، مقال نشر على الموقع: www.hazemsakeek.com بتاريخ: 2012/01/06.

45- ا/مليكة آيتعميرات: مرجع سابق، ص: 30.

46- شكلت هذه الشهادة المؤلمة موضوع فيلم وثائقي طويل بعنوان "اليربوع الازرق" للمخرج جمال وهاب الذي عرض "لأول مرة " مساء يوم الاثنين 2009/08/03 بباريس بحضور جمهور غفير من بينهم العديد من البرلمانيين الفرنسيين.

47- رياض معزوزي: الاشعاعت النووية الفرنسية في الجزائر ستؤثر على البيئة الى ما بعد 24الف سنة قادمة المجلة العلمية أهرام- الجزائر، بتاريخ، 2012/01/07 على الموقع: www.ahramag.com

48- جلولي بن جلول: الذكرى الـ51 لتفجيرات رقان بشاعة مستعمر، جريدة الجمهورية، الجزائر، على الموقع بتاريخ: 2012/01/07، www.eldjoumhouria.dz.

49- الموقع نفسه.